((البكالوريا)) أهيَ (بعبع) يرعب الطلبة أم وسيلة قياس وتقويم لاجتهادهم؟

إياد عطية الخالدي

آلية الامتحانات والنتائج المترتبة عليها، والنظرة الاجتماعية وغياب دور المدرسة: عوامل تزيد من قلق الطالب في الامتحانات

المدير العام لدائرة الامتحانات: هناك قصور في نظام التقويم والامتحانات ونحن بصدد اعادة النظر فيه.

الاسئلة الوزارية هذا العام ستراعي الظروف القاسية التي يمر بها بلدنا وهناك هامش كبير للاختيار بين الاسئلة

امل العائلة

(أمل العائلة) على هذا النحو يفكر المهندس ناصر حسين والد الطالب محمود بابنه ويقول: اريده ان يرفع رأسي بين الاهل والاقارب والجيران، فهو اصغر ابنائي وآخر من بقي منهم ممن يستطيع ان يحقق للعائلة حلمها في ان يكون هناك طبيب بينها ، ويوضح الامر قائلا: شقيقه طارق فشل في تحقيق حلمنا وخيب ظننا فيه، اما محمود فليس اقل ذكاءً ولا حرصاً من ابنة عمه هبة التي دخلت الكلية الطبية، ومن جانبي وفرت له كل ما يحتاج وعليه ان يثبت لي انه جدير بالثقة، فمن دخل الكلية الطبية ليس أفضل منه، ولا عوائلهم أفضل من عائلته.

قلق وخوف وانتظار

بعد ان القيت على كامل محمود كل هذه الآمال والتوقعات.. فماذا نتوقع نحن؟

قلق وخوف وانتظار، وعائلة على اهبة الاستعداد وضعت في ابنها احلامها قبل احلامه وتطلعاتها قبل تطلعاته، ومع اقتراب العد التنازلي للامتحانات، تعيش العائلة اجواء الامتحانات بقلق وتوتر.

تقول والدته ايمان: ما يقلقنا ان حماسة محمود بدأت تضعف ونشاطه بدأ يقل كما ان تصرفاته داخل المنزل تغيرت، فقد أصبح عصبياً جداً، و (يتنرفز) لأدنى الاسباب، وفي كثير من الاحيان يتحرك داخل المنزل لا شعوريا، تصور انه قام بكسر اواني الطعام لمجرد ان الطعام كان بارداً بعد أن تأخر هو عن تناوله، ا نا قلقة جداً عليه ولا أعرف ماذا افعل؟حتى في الليل يحلم في الامتحانات والاسئلة، ويا ليت احلامه مفرحة بل كلها كوابيس، آخر مرة حلم بأنه لم يجب على اسئلة امتحان الفيزياء وبسبب حلمه هذا اتفقنا مع مدرس معروف لتدريسه مادة الفيزياء.

وتمضي السيدة ايمان بوصف حالة ابنها محمود: اصبح يترك غرفته ويتحجج بأن اجواءها لا تساعده على الفهم، وهكذا كل يوم ينتقل من غرفة إلى غرفة، وبات يغير مكان مذاكرته في اليوم أكثر من عشر مرات وليس امامنا الا ان نوافقه ونلبي طلباته.

الخوف الذي اضاع سنة

حسين منعم والد مرتضى الطالب في اعدادية الشباب لابنه حكاية مع الخوف والقلق من نتائج الامتحانات الوزارية، فالابن مرتضى اعاد السنة الدراسية بعد ان ادى امتحان اللغة العربية للموسم الدراسي الماضي وقرر عدم مواصلة الامتحانات لمجرد انه خمن ان درجته في هذه المادة لن تصل إلى الثمانين، وخشي في النهاية ان تؤثر في معدله ولهذا فانه لم يكمل الامتحانات برغم محاولات الاهل طوال يومين اقناعه بمواصلة الامتحانات لكن بلا جدوى. ويقول السيد منعم: لهذه الاسباب فان قلقنا من الامتحانات له ما يبرره، وانه لامر مؤسف حقاً ان لا أعلم ان تخمين مرتضى لم يكن بمحله، فقد تبين بعد توزيع النتائج ان درجته في اللغة العربية كانت ٨٨ وهكذا ضاعت عليه السنة بسبب خوفه، وقد عشنا معه لحظات القلق ومفاجآت امتحانات ((البكالوريا)) فكل شيء قد يحدث، اسئلة صعبة، اسئلة غير متوقعة أو خارجية، وأمور اخرى قد لا تكون في الحسبان.

نعم انا خائف

"نعم انا خائف من الامتحانات" يقول مصطفى الطالب في السادس العلمي في مدرسة الحريري، ويضيف: مع اني بذلت جهوداً كبيرة طوال العام وخلال فترة الاستعدادات، واسعى إلى معدل يؤهلني دخول كلية مرموقة، الا ان الامتحانات هي التي ستحدد مصيري، فإما النجاح وإما الفشل!

❖ما الذي يخيفك مادمت بذلت كل هذه الجهود؟

. اخاف من الاشياء غير المتوقعة، مثلا ان تأتي اسئلة غير مفهومة، اخاف ان انسى في قاعة الامتحان كل ما حفظته، اخاف ان ينتهي الوقت من دون ان اكمل الاجابات، كما اخاف ان يظلمني المصحح.

❖وماذا تفعل إذا لم يتحقق المعدل الذي تطمح اليه؟

. ستضيع احلامي ومستقبلي، وعندها لن اسامح نفسي ابداً.

يستدرك مصطفى قائلا: ارجوك لا تخيفني أكثر، فانا الآن اراجع المادة مرتين أو ثلاث مرات كي لا تفوتني معلومة حتى لو كانت بسيطة، أحيانا أشعر باني لا أفهم أي شيء ولا استطيع الاجابة عن أي شيء.

اما الطالبة زينة فتقول: راجعت جميع المواد مرة ومرتين، لكن اعصابي بدأت تتوتر أكثر مع اقتراب الامتحانات، حتى فقدت شهيتي للطعام، ولثلاثة أيام كنت اكتفي بوجبة واحدة، راجعت احد الاطباء فأعطاني مهدئات وبعض التعليمات والنصائح برغم هذا فانا قلقة جداً. الامتحانات الوزارية مخيفة فعلاً لكني كنت واثقة من نفسي ولم اتصور اني سأستسلم لهذا الخوف.

(بارق كاظم) الطالب في الاعدادية المركزية لا يبدو عليه القلق من الامتحانات. يقول: لست خائفاً جداً مثل غيري من الامتحانات فقد جربتها العام الماضي، وعرفت ان الخوف لا يجدي نفعاً، وعلى أي حال أنا اسعى للنجاح وليس لدي طموح في الحصول على معدل عال. اشعر الآن ببعض القلق، وانا متأكد من انه سينتهي مع تسليمي ورقة الامتحان.

مسؤولية وزارة التربية

المعلم والمربي المتقاعد خالد ناصر يرى ان وزارة التربية هي التي تتحمل مسؤولية القلق والخوف غير الطبيعيين نتيجة آليات الامتحانات والنتائج المترتبة عليها. يقول السيد خالد: في الواقع ان الامتحانات، أية امتحانات، هي مدعاة للشعور بالقلق أو الخوف مهما كانت نوعيتها واهمية النتائج التي تترتب عليها، هذه حالة طبيعية، لان هذا القلق هو دافع للاشخاص من اجل السعي والاجتهاد لتحقيق النجاح وعبور الامتحان، لكن الحديث عن الخوف والقلق من الامتحانات الوزارية ((البكالوريا)) اللذين يتحولان إلى ما اسميه بالخوف غير الطبيعي" ان صح التعبير فهو مشكلة حقيقية يجب وضع حلول جادة لمعالجتها..هذا الخوف بالطبع يعود إلى شعور الطالب بأن مصيره ومستقبله مرتبطان بنتيجة الامتحانات الوزارية، والحقيقة ان آلية الامتحانات الوزارية في العراق وحتى في معظم الدول العربية هي آلية مخيفة بحد ذاتها، لأن الطالب الذي لا يحقق معدلاً ممتازاً سيجبر على دخول كلية أو دراسة غير منسجمة مع ميوله، والعملية ببساطة مرتبطة بآلية القبول المركزي المبنيةعلى نتيجة الامتحانات وحدها، إذاً ليست الامتحانات هي المخيفة بل النتائج المترتبة عليها وبرغم وجود كليات اهلية قد خففت بعض الشيء من هذه المشكلة لكنها مازالت قائمة. ويضيف هناك عوائل تسهم في هذا القلق عبر رفع درجات التحفيز والتحذير والتهويل إلى اقصى حد، مما يسبب ارباكاً لدى الطالب، اما عن دور المدرسة فعلى حد علمي، وقد كنت لسنوات مشرفاً تربوياً، إن هذه القضية ليست على جدول اهتمامات المدارس ادارة ومدرسين، إذ لم اسمع ان مدرسة قامت بعقد ندوة أو محاضرة عامة لشرح وتبصير الطلبة واعدادهم اعداداً سيكولوجيا مناسباً.

الواقع ان الطالب يقطع علاقته نهائياً تقريباً بالمدرسة قبل شهر من الامتحانات، وهذا الامر باعتقادي خاطيء، فالمفروض ان يستمر التواصل بين الطالب ومدرسته حتى بدء الامتحانات، وان يكون المدرس مع طلبته في اثناء المراجعة والتهيؤ للامتحانات الوزارية ((البكالوريا)) وان لا يترك امر التهيؤ والاستعداد للطالب وحده أو اعتماداً على مدرسين خاصين، وهذه واحدة من الجوانب السلبية، كما اني لم اسمع ان مدرسة في العراق عقدت مجلساً مع اولياء الامور لمناقشة الاستعدادات للامتحانات الوزارية من جميع الجوانب بما فيها الجانب النفسي، والاخير عامل مهم باعتقادي. وانا هنا اوجه اللوم إلى وزارة التربية التي مازالت تعتمد على مفاهيم أكل عليها الدهر وشرب ولم تعد مجدية في الوقت الراهن، وأرى ان قضية الخوف من الامتحانات العامة هي قضية واقعية وتأثيرها السلبي لايمكن انكاره، ولكني اقول ان القاء العبء على الطالب وعائلته ليس هو الحل، فالقضية اولاً واخيراً تتعلق بوزارة التربية، وعلى المسؤولين فيها اعادة النظر بآليات الامتحانات وفي طرائق التدريس وفي صوغ الاسئلة التي لا ترهق عقول الطلبة بل تكشف مستوى ذكائهم وحصيلتهم العلمية من المادة التي درسوها.

النظرة الاجتماعية

التدريسي فارس كمال نظمي استاذ الشخصية في جامعة بغداد قال: علينا ان ندرك اولاً ان الامتحانات الوزارية تمثل نقطة تحول في حياة الطالب وأسرته بسبب الأهمية الكبيرة التي تترتب على نتيجتها، فالطالب اما ان يتمكن من الحصول على معدل عال، وهذا يعني حيازته مقعداً في كلية "مرموقة" في العرف الاجتماعي، واما ان يحصل على درجة لا تؤهله الدخول إلى كلية أو معهد يحظى بالقبول الاجتماعي، بمعنى ان امتحانات (البكالوريا) تستمد اهميتها أو قيمتها من تقييمات المجتمع لها مما جعل منها مناسبة تسبقها مشاعر القلق والتوتر والارتباك سواء لدى الطالب أم لدى عائلته.

إذاً القيمة الاجتماعية للامتحان الوزاري تعد عالية جداً في المجتمع العراقي بالقياس إلى مجتمعات اخرى أكثر تقدماً، فمازال المجتمع العراقي ينظر نظرة إكبار إلى الكليات العلمية كالطب والهندسة اللتين تتطلبان معدلات عالية وان وصول الطالب إلى هذه الكليات يحقق هيبة ومكانة متميزتن للعائلة في العرف الاجتماعي.

آلية القبول

ويحدد الاستاذ فارس كمال جانباً آخر له علاقة برفع درجات القلق والتوتر من الامتحانات، وهو آلية القبول يقول: ان الية القبول في الجامعات تخضع للمعدل الذي يحصل عليه الطالب في امتحان (البكالوريا)، وهنا يشتد عامل المنافسة جداً بسبب ان درجات جميع الطلبة توضع في سلة واحدة مما يعني ان مستقبلهم العلمي والمهني سيبقيان مرهونين بدرجة الامتحانات.

الضغوط النفسية المتراكمة

ويشير الاستاذ فارس كمال استاذ الشخصية في جامعة بغداد إلى عامل آخر يسبب قلقاً اضافياً لدى الطلبة في الامتحانات الوزارية، وهو تعرض الطالب إلى ضغوط عائلية متمثلة بحثه على نحو مبالغ فيه، وبما يتجاوز قدراته على الدراسة ساعات طوالاً ومنعه من التمتع بقسط من الترفيه النفسي والاجتماعي، مما يؤثر بلاشك في اتزانه النفسي وقدرته المعرفية (الذاكرة والاستنتاج والفهم) مما يجعل من ادائه منخفضاً وينعكس ذلك على نتيجته.

وفي حالات اخرى يبذل كل من الطالب وعائلته جهوداً جيدة وفي الاطار الصحيح إلا ان النتائج قد تأتي غير موافقة هذه الجهود، وهذا ما يخلق حالة من الاحباط النفسي والتهشيم الذاتي السلبي عند الطالب مما يؤثر في تكوين مفهوم واطئ عن نفسه، وهنا يمكن للأسرة ان تؤدي دوراً ايجابياً في اقناع ولدها بانه قد بذل ما يكفي من الجهود وان نتيجته تعد مقبولة إذ لا يمكن لجميع الطلبة الحصول على درجات قصوى في الامتحانات، لكنها قد تزيد الطين بلة إن ازدرت جهوده وحملته مسؤولية الفشل باللوم والتقريع.

والواقع ان هذه الامور مجتمعة قد جعلت من امتحانات (البكالوريا) في العراق (بعبعاً) من الناحية النفسية ومرحلة عبور من الجنة إلى النار، كما إن العائلة والمجتمع اسهماً معاً بجعل الامتحان وسيلة لكسب جائزة لمجتمع يبحث دائماً عن جائزة.

القلقان الايجابي و السلبي

ويفرق الدكتور هيثم الزبيدي التدريسي في جامعة ديالى بين الخوف أو القلق السلبي والخوف والقلق الايجابي، ويقول هناك فارق بين القلقين السلبي والايجابي، فالأول قد يخلق حالة احباط وخوف من عدم امكانية اجتياز الامتحانات أو تحقيق نتيجة ممتازة، اما النوع الثاني فانه يخلق دافعاً نحو الاجتهاد والتقدم، وعلينا ان ندرك ان الامتحانات الوزارية " (البكالوريا)" لم تأت تسميتها اعتباطاً بل لانها تدل على صعوبتها والخوف من النتائج التي تترتب عليها..

اعراض القلق لدى الطالب في فترة الامتحانات أو في الفترة التي تسبقها تتجسد في التعرق، والارتجاف في اليدين، صداع وجفاف الشفتين، فقدان الشهية، هذا بالنسبة إلى الاعراض الظاهرة.. اما الاضطرابات النفسية الأخرى فتتمثل بوساوس قسرية.. يعني ان يسيطر تفكير معين على الطالب مثل : (انني مهما قرأت سأرسب!) وهناك اضطرابات سلوكية وتصرفات لا ارادية وصعوبة في الاختيار أو الاقتناع بالمكان المناسب للقراءة، مما يؤدي إلى ضعف ادائه في الامتحان حتى لو كان يقرأ ساعات طوالاً، لأن القلق على النتيجة يمثل ضغطاً على جهازه العصبي.

التخمة القرائية

التخمة القرائية واحدة من الاعراض التي تصيب الطالب الذي يقوم بالقراءة المتواصلة من دون ان يمنح جسده الراحة المناسبة بسبب القلق من عدم فهم واستيعاب المادة، وهي مرحلة يصل اليها الطالب عندما لا يستطيع استيعاب وفهم ما يقرأ، مما يوصله إلى نتائج سلبية على ادائه في الامتحانات، وهنا يأتي دور العائلة في وضع اوقات محددة ومناسبة للمذاكرة، والحرص على الراحة الجسدية والنفسية للطالب..

استخدام العقاقير

القلق والخوف يلجأ بعض الطلبة إلى استخدام العقاقير المهدئة ومن دون استشارة الطبيب والواقع ان لكل عقار تأثيراته الجانبية كما يقول الدكتور هيثم الزبيدي الذي يدعو جميع الطلبة إلى الابتعاد عن تناول العقاقير الطبية، الا في حالات معينة يحددها الطبيب كحالة الخوف المزمن الذي يؤدي إلى شعوره بضربات القلب الزائدة، وهناك انواع من العقاقير المسموح بتناولها واخرى لا يسمح بتناولها في حالات الخوف غير المرضي كحالات الخوف من الامتحان.

الحاجة إلى التطوير

يرى السيد صباح الجاف المدير العام لدائرة الامتحانات والتقويم ان الامتحانات تعد بوجه عام الاسلوب الغالب في عملية التقويم إلى حد يمكننا القول انها اداة القياس الاساسية في عملية التقويم، ويتحدد بناءً على نتائجها نجاح الطلبة وانتقالهم إلى الصفوف الاعلى والمراحل التعليمية اللاحقة أو رسوبهم. وعليه يجب ان لا يراعى عند وضع اسئلتها (فيما يتعلق بالامتحانات الوزارية) توفر شروط ومواصفات الاسئلة الجيدة من قبل واضعين مختصين من ذوي الخبرة والكفاية العالية في المادة العلمية.ومن اجل التطور النوعي للاسئلة الامتحانية تقوم مديريتنا بعملية التحليل والتقويم لها بالتنسيق مع لجان من الاختصاصيين التربويين والمدرسين المختصين من اجل التثبت من دقة اعدادها ورصانتها من حيث الشمولية، والمستوى العلمي، والصوغ اللغوي، والتنوع في انماطها، وقياسها للاهداف السلوكية، واستقلاليتها، والزيادة في مجالات الترك بما يضمن حرية كافية للاختيار، ..الخ).

ونتيجة الشكوى المستمرة في قصور نظم التقويم واساليبه وممارسته المعمول بها وما يشوبها من سلبيات ويحيط بها من اجواء الرهبة والقلق والتوتر مما ينعكس اثاره في شخصيات المتعلمين، فقد برزت الحاجة إلى تطوير نظم واساليب التقويم والامتحانات في مختلف مراحل التعليم العام والاهتمام باصلاح مختلف مكونات المنظومة التعليمية، وتأكيد ضرورة الاخذ بالمفهوم العلمي لعملية التقويم في اطارها الشامل باعتبارها عملية منهجية تتطلب جمع بيانات موضوعية ومعلومات صادقة باستخدام ادوات قياس متنوعة في اطار مجموعة من الاهداف المحددة للوصول إلى تقديرات كمية وادلة نوعية يستند اليها في اتخاذ قرارات أو اصدار احكام مناسبة تتعلق بالطلبة وبعملية التعليم وذلك لتحسين نوعية الاداء ورفع درجة الكفاءة بما يساعد على تحقيق هذه الاهداف.

وقد تمثل هذا التوجه بما تسعى اليه الوزارة لانشاء مركز وطني لتطوير التقويم والامتحانات للاشراف على تخطيط المشروعات التقويميةوالقيام بالدراسات والبحوث في مجال تطوير نظم واساليب القياس، وتنظيم عمليات بناء الاختبارات وتحديد معاييرها وتجريبها وتقويمها قبل تعميمها، وتطوير برامج تدريب القيادات التربوية والمعلمين في هذا المجال.

سنراعي ظروف الطلبة

اما عن الاسئلة الوزارية للعام الدراسي هذا فيحدثنا عنها السيد صباح الجاف المدير العام للتقويم والامتحانات بوزارة التربية: الاسئلة الوزارية ستكون من المنهج وسوف تشتمل على اسئلة متنوعة موضوعية ومقالية، وسيكون في اسئلة الامتحانات الوزاري لهذا العام مجال واسع للاختيار، حيث اخذ بالحسبان عند وضع الاسئلة الظروف القاسية التي يمر بها بلدنا العزيز والتي تؤثر في اداء الطلبة واستعدادهم للامتحانات على ان تحقق هذه الاسئلة قياس المستوى العلمي لدى الطالب.

وعن الاجراءات الامنية التي قد تشكل قلقاً عند الطلبة قال صباح الجاف المدير العام لدائرة التقويم والامتحانات، لقد انجزنا جميع الاجراءات الامنية لتجميع مفاصل الامتحانات بدءاً من نقل الاسئلة والدفاتر الامتحانية وصولا إلى المراقبين ومديري المراكز الامتحانية وتوفر سبل الراحة والامان للطالب في المركز الامتحاني. وبما يتعلق باختيار المصححين والمديرين للمراكز الامتحانية فإن عملية الاختيار محكومة بضوابط دقيقة للمحافظة على سرية الاسئلة الامتحانية.

تربوي: من الخطأ ان يقطع الطالب علاقته بالمدرسة قبل شهر من بدء الامتحانات

طبيب يحذر من استخدام العقاقير المهدئة من دون استشارة طبية